

حكومة الإمام علي (ع) نموذج الحكومة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم عيد الغدير هو اليوم الذي حدد فيه النبي الأكرم (ص) أمر الحكومة، وشخص نموذج الحكم الإسلامي وإلى الأبد، مبينا أن الصورة النموذجية للحاكم الإسلامي هي هذه الشخصية المهدبة والاعجازية في جميع أبعادها. وبالطبع فإن النبي الأكرم (ص) كان يعلم أن من غير الممكن أن يوجد نظير للإمام علي أمير المؤمنين (ع) بكل معنى الكلمة. لكنه عيّن نموذجا للحاكم على الآخرين أن يقتربوا مما كان عليه. كما أن الإمام علي (ع) نفسه قد بيّن منهاج الحكم في عهده لمالك الأشتر حيث حدد واجبات الحاكم والولاية الذين نصبهم على البلد ومن جميع الجهات.

واستنادا إلى نموذج الخلافة الذي عينه الرسول الكرم ومنهج عمل الحكومة والولاية الذي بينه الإمام علي، فإن جميع الحكومات التي أعقبت حكم الإمام أمير المؤمنين باستثناء تلك أيام القليلة لحكم الإمام الحسن (ع) فاقدة للكفاءة المطلوبة للحكم (الإسلامي) سواء تلك التي كانت تلتزم بمقدار ما بآداب الحكم (الإسلامي) التي يجسدها نموذج حكم رسول الله إن كانت توجد مثل هذه الحكومات، أو تلك التي لم تكن تلتزم بذلك أصلا. جميعها غير جديرة بالحكم، والإمام علي نفسه ثار ضد معاوية رغم أنه كان يتستر بالإسلام ويقوم بأعمال إسلامية ولعله كان يؤمن بعقائد إسلامية ولعله لم يكن يؤمن بشيء منها. وعلى أي حال فقد ثار ضده الإمام علي رغم ذلك ولم يعبأ بأقوال كل الذين كانوا يتصورون أنهم ينصحونه عندما طلبوا منه أن يبقى معاوية واليا على الشام ثم يعزله بعد أن ترسخ دعائم خلافته. لكنه رفض ذلك وكانت حجته هي أنه لا يستطيع أن يجعل من يتحرك خلاف المعايير الإلهية وينشر الظلم في البلاد حاكما على العباد ولو لفترة قصيرة ولو كان (ع) قد فعل ذلك لأصبح عمله حجة للقول بأن من الممكن أن يصبح الفاسق حاكما معينا من قبل ولي الأمر. بل إن أمير المؤمنين تخرج حتى من القبول بما تقتضيه المصلحة إذ أنه لو ترسخ موقعه لاستطاع أن يخلع معاوية لكنه لم ير لنفسه ما يجيز لها أن يبقى معاوية في الحكم ولا يوما واحدا. وهذه حجة بالغة علينا توجب أن نطرح بهذه الحكومات الجائرة إذا استطعنا ذلك وإذا لم نستطع لا سمح الله. فيجب أن لا نرضى بحكمها ولا ليوم واحد. فهذا قبول بالظلم والعدوان ونهب أموال الناس، ولا يجوز لأي مسلم أن يرضى بالحكومة الظالمة ولو لساعة واحدة. والجميع مكلفون شرعا بمجاهدة هذه الحكومات التي استحوذت على السلطة وهي تعمل خلال الموازين الإلهية بل وخلاف

حتى موازين قوانينها الدستورية نفسها. فيجب على كل شخص أن يعارضها ويجاهدتها بكل ما استطاع. ولا يقبل اليوم أي عذر.

اليوم، انتفض الشعب الإيراني، وانتفاضته قامت عن وعي بالقضايا ويقظة وهو يعلن في كل مكان من المدن والقرى، قضية واحدة هي رفض هذه الحكومة المتجبرة وبطالب بالحكومة الإسلامية والحرية والاستقلال. يريد أن تكون حكومته إسلامية. وهذا المطلوب هو نفسه استجابة لما بينه رسول الله (ص) (الحاضرون يرددون الصلوات على النبي وآله). وعلينا أن نستلهم ونتعلم أمهات الصفات التي يلزم توفرها في الحكم طبق الصورة التي حددها النبي الأكرم (ص) من طريقة الإمام علي (ع) في الحكم. وبالطبع لا نحن ولا أي شخص يستطيع الالتزام بجميع خصوصيات طريقة هذا الإمام العظيم. فقسم منها هو فوق أصل منهج الحكم ويمثل ممارسات نموذجية اختص بها هذا الرجل العظيم. ولكن المهم أصل منهج الحكم أي أن يكون حاكما عادلا ولا يقوم بأي ظلم للناس. فالحكم الإسلامية يقتض من أي كان إذا قتل آخر مثلا. أو إذا صفع شخص آخر فيجب أن ينحصر القصاص بمقدار نفس الظلم ولا يتعداه. فإذا حسبه يوما إضافيا فهذا خلاف نظام الإسلام. إذ أن للسجن موردا خاصا. فلا يسمح الإسلام بمثل ما تفعله الحكومات القائمة الآن إذ أنهم عندما يعقلون أحدا يعرضونه منذ البداية لفترة من الضرب والسجن والتعذيب إذا عرفوا بعد أن يحققوا في الأمر أنهم قد أخطأوا عندها يقولون: لقد اشتبهنا!

لقد حكم هذا (الرجيل) الملك محمد رضا الشعب لأكثر من عشرين سنة عرضه فيها للأذى وسلبه المن والحرية. سلب الصحافة حريتها، وجعل الثقافة العلمية متخلفة وأعطى ثروات المسلمين للكفار والأجانب ونهب هو ورفاقه أموال المسلمين. وجاء اليوم ليتوجه إلى الشعب والعلماء و(المراجع العظام والعلماء الأعلام). ويقول: أطلب الصفح فقد اشتبهت! فتعالوا نتصالح وقدموا لي الدعم. وهو يمد يده الآن لمختلف فئات الشعب. ولا حقيقة لهذا الإدعاء بل هو عمل منحرف آخر. فللاعتذار شروط حتى وكان من الله تبارك وتعالى وهو أرحم الراحمين. لو اعتدى أحد على لناس وسرق أموالهم أو أكلها أو ظلمهم وعذبهم وحبسهم، وهذه هي الأعمال التي ارتكبتها ويرتكبها هؤلاء (النظام الملكي)، ثم اكتفى اليوم بمجرد القول: إلهي أني تبت الآن! تبا لك إن تبت الآن! فالتوبة تتحقق عندما تجبر وتصلح كل ما جنيت وبعد الإصلاح تقول: إني تبت. هذا هو الصحيح لكنه إضافة لارتكابه كل تلك الأعمال، حبس أشخاصا محترمين وبالآلاف عشر سنين وأكثر أو أقل وعرضهم للتعذيب وقطع الأرجل بالمناشير والإحراق وكل تلك الأعمال الفظيعة والفضائح التي

ارتكبوها. وهو اليوم يقول: إني تبت! هل يمكننا القول: حسنا جدا، السيد تاب وتوبته مقبولة ولا شيء عليه؟ ولكن كيف تقبل توبته؟ يجب أن يصلح كل ما أفسده لكي يقبل الله توبته وتكون توبة حقيقية.

لنفرض أنه صادق فيما يقول ولا يريد خداع الشعب. والواقع هو خلاف ذلك ولكن الأقوال التي أطلقها شهدت في توقيتها بالذات على كذبه. لأنه في الوقت الذي أطلقها فيه قام بتشكيل الحكومة العسكرية التي آذت الناس وارتكبت كل هذه المذابح ضدهم عندما كان هو يعتذر ويقول: لقد وقعت في أخطاء ولن نكرهاً أمس الأول شهدت مدينة مشهد مذبحه أخرى لا أعلم الآن عدد ضحاياها. وقد أصبحت المذابح حالة عادية في إيران اليوم. فقتل الشعب وتدمير شبابنا من الممارسات اليومية لهذه الحكومات. ثم يأتي هذا ليقول: إني تبت الآن، ويأتي آخر ليقول: حسنا لقد تاب جلالته فكفى، انتهى الأمر! كلا لم ينته. فهو يسعى إلى خداع الناس لكي يستقوي فإذا استقوى فإنه سيرتكب أسوأ مما ارتكبه في السابق مائة درجة لأنه عرف الآن أعدائه. وإذا ترسخت أقدامه فسيقوم بأعمال أسوأ كثيراً من أعماله السابقة.

على أي حال، لقد حدد الإسلام طريقة الحكم ومنهجه، وما يقال من أنه لا يمتلك منهاجاً عملياً للحكم إدعاءات تُطلق دون أساس من الصحة، فمواصفات الحكام محددة ومدونة في الإسلام كما أن الإمام أمير المؤمنين قد بين منهج الحكم وكيفيته وكيف ينبغي أن يكون وضع جهازه العدلي وقضاته وسائر أجنحة الحكومة وكلها أمور واضحة محددة .

أما ما يقوله هو (الملك) أو رفاقه من أن عدم وجوده سيؤدي إلى إيجاد خلل وفراغ في البلد. فهو ادعاء أجوف، بل إن وجود جلالته هو سبب الخلل، والفراغ قائم بالفعل. فكل شيء قد فقد حقيقته ولم يبق لدينا أي شيء يحتفظ بمحتواه. وكل الموجود هو ظواهر شكلية جوفاء وأقوال لا مصداق لها. لقد طلبوا كثيراً لمزاعم: أننا وصلنا إلى (بوابة التحضر) وسندخل! في حين أن الجميع يعلمون بعدم وجود مصداق لكل ذلك فلا خبر عن التحضر أصلاً. لأن أولى مراتب التحضر هي حصول الشعب على حريته. والبلد الفاقد للحرية فاقد للتحضر أيضاً. والدولة الفاقدة للاستقلال التابعة للغير، وقد جعل جلالته بأعمال كل شؤون البلد مرتبطة بالأجانب، لا يمكن وصفها بالتحضر، فالبلد المتحضر يكون حراً وتتمتع صحافته وشعبه بالحرية في التعبير عن آرائهم وعقائدهم.

لا يوجد في بلدنا من يتمتع بالحرية وأنت تقول باستمرار: إننا وصلنا إلى بوابة التحضر! وكل الموجود هو لعبة حزبية يقوم بها هذا وذاك حيث يأتي أحدها كل يوم ويطلب ويفعل ما يفعل وأنت تقول إنه

(حزب شامل) وأمثال ذلك وكلها أقوال جوفاء لا مصداق لها كما اتضح. وكل ما لدينا اليوم ظواهر جوفاء فاقدة للمحتوى. فالفراغ موجود بالفعل الآن. ولن يحدث أي فراغ إذا رحل هذا الشخص. لأن الأكفاء السليمين متوفرون، والمتعلمين متوفرين أيضا، لكنهم خارج البلد ولا يستطيعون العودة. كما أن أمثالهم موجودين في داخل البلد لكنهم في عزلة، فإذا رحل جلالته (عاد أولئك وانتهت عزلة هؤلاء)، ومنهج الإسلام في الحكم واضح ومدون وهو يحدد المواصفات التي يجب توفرها في الحاكم ونحن نبين للناس ونحدد لهم الحاكم الذي ينتخبونه وهم يختارونه بحرية وينتخبون النواب الذين يريدونهم بحرية ويقومون بكل الأعمال بحرية أيضا. فلا يحدث فراغ في القضية أصلا بل إذا رحل جلالته زالت هذه الحالة من الفراغ المشهودة في جميع المجالات. وليس الواقع أن رحيله يؤدي إلى إيجادها فهذه أقوال وأشعار يرددونها.

وعلى أي حال، فنحن نرجو أن ينزل الله تعالى رحمته علينا في هذا اليوم ويوفقنا في هذا الجهاد الذي نخوضه وينصر المسلمين في الجهاد الذي يخوضونه ويعزز الإسلام ويقيم حكومته ليعرف العالم وضع الحكم (السليم) وحقيقته وكيف يتعامل الحاكم مع الرعية ومع سائر فئات المجتمع، وخصائص الأشخاص الذين يجب أن يتولوا مهام الحكومة، وكذلك الخصائص التي يجب توفرها في القضاة والمعلمين وغيرهم، فقد حدد الإسلام كل هذه الأمور. وإذا أقيمت الحكومة الإسلامية . إن شاء الله ،، فستكون جميع الأمور على وفق ما يريده الشعب . إن شاء الله . (الحاضرون: إن شاء الله .)

هوية الخطاب رقم . 72

فرنسا / باريس / نوفل لوشاتو 18 ذي الحجة 1398هـ ق الموافق 19 نوفمبر 1978م.

الموضوع: حكومة الإمام علي (ع) نموذج الحكومة الإسلامية.

المناسبة: حلول عيد الغدير سنة 1398هـ ق.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في الخارج وغيرهم.